مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يُصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد12- العدد2 (جوان) 1443هـ/2022م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-011-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

DOI: 10.54240/2318-012-002-019

نشاط الفروسيّة في الجزائر خلال المرحلة الحديثة: قراءة في محدّداته التّنظيميّة ورصد لعناصره الجماليّة؛ مقاربة من منظور الأنثروبولوجيا التّاريخيّة.

Equestrian activity in Algeria during the modern stage, through a review of its organizational determinants and monitoring of its aesthetic elements; An approach from the perspective of historical anthropology

اسم ولقب المؤلّف المرسل: نورالدّين كوسة- Noureddine Koussa صص350- 361
الدّرجة والعنوان المهني: أستاذ- جامعة سطيف2- الجزائر.
البريد الإلكتروني: koussanoureddine@yahoo.fr

تاريخ استقبال المقال: 2022/05/25... تاريخ المراجعة: 2022/06/05... تاريخ القبول: 2022/06/16...

الملخّص: يروم هذا البحث إلى مُلامسة واحدة من بؤر التّفكير التي أثارها المحور الثّاني لهذا الملتقى الدّولي؛ الذي جاء بعنوان"أهميّة الرّياضة في الحياة اليوميّة لشعوب البحر الأبيض المتوسّط"، محاولين ضمن هذا السّياق مناقشة إشكاليّة اندراج الممارسة الرّياضيّة في تأثيث الحياة اليوميّة للشّعوب؛ باعتبارها تمثّل وجها من أوجه التّسلية، لارتباطها بأداء أدوار حيويّة في تفعيل النّشاط التّرفيهي، مركّزين بوجه خاص على نشاط الفروسيّة في الجزائر خلال المرحلة الحديثة، من خلال استعراض لمحدّداته التّنظيميّة ورصد لعناصره الجماليّة، آخذين بعين الاعتبار أهميّة توظيف المقاربة الأنثروبولوجيّة التّاريخيّة؛ لما تنطوي عليه هذه الأخيرة من أدوات تحليل تُفضي بنا إلى تشكيل زوايا نظر جديدة، بما يُتيح لنا استعراض بعض الجوانب والعناصر الجزئيّة التي أغفلتها الكتابات حول هذا الموضوع الحيوي.

الكلمات المفتاحيّة: الفروسيّة؛ المجتمع الجزائري؛ المرحلة الحديثة؛ المقاربة الأنثروبولوجيّة؛ البُعد الرّمزي؛ الرّياضة؛ التّسلية؛ الاحتفالات؛ المحدّدات التّنظيميّة؛ العناصر الجماليّة.

Abstract: *This research aims to touch upon one of the focal points of thought raised by the second axis of this international forum; which came under the title "The Importance of Sports in the Daily Life of the Peoples of the Mediterranean", trying within this context to discuss the problem of incorporating sports*

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يُصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد12- العدد2 (جوان) 1443هـ/2022م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-011-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

practice into furnishing the daily life of the peoples; As it represents an aspect of entertainment, as it is linked to playing vital roles in activating recreational activity, focusing in particular on equestrian activity in Algeria during the modern stage, through a review of its organizational determinants and monitoring of its aesthetic elements, taking into account the importance of employing the anthropological approach; Because of the latter's analytical tools that lead us to form new perspectives, allowing us to review some of the aspects and partial elements that the writings on this vital topic have overlooked.

Keywords: Riding; Algerian society; Modern stage; Anthropological approach; Symbolic dimension; Sports; Entertainment; festivities; Regulatory limitations; Aesthetic elements.

المقدّمة: لقد أفضت بنا عمليّة التّفاعل المعرفي مع موضوع الرّياضة والألعاب الرياضيّة في حوض البحر الأبيض المتوسّط عبر العصور، إلى تحفيزنا على التّفكير في موضوع بحث يتّسم بانطوائه على عناصر إشكاليّة جديرة بالاهتمام، آخذين بعين الاعتبار ما يمثّله هذا الاختيار من أهميّة معرفيّة تَصُبُّ بالدّرجة الأولى في رصد تلك العلاقة الجدليّة بين الرّياضة والمجتمع، وهو ما أسهم في توجهنا نحو نشاط الفروسيّة؛ لكونه من أبرز الأنشطة الرّياضيّة التي تتميّز بحضورها البنيوي المرتبط بالتّاريخ الثّقافي للمجتمع الجزائري خلال المرحلة الحديثة، دون إغفال ما يحوزه هذا النّشاط أيضا من أبعاد ومعاني رمزيّة في المخيال الاجتماعي الجزائري على امتداد التّاريخ، فكان اختيارنا للبحث الذي جاء بعنوان "نشاط الفروسيّة في الجزائر خلال المرحلة الحديثة؛ قراءة في محدّداته التّنظيميّة ورصد لعناصره الجماليّة"؛ استنادا إلى مقاربة من منظور الأنثروبولوجيا التّاريخيّة.

وقد جاء هذا البحث في مجموعة من العناصر؛ حيث كانت البداية بمثابة قاعدة ارتكاز محوريّة تتّصل المقاربة النّظريّة للبحث، وهذا من خلال استعراض وشرح مُبرّرات استحضار وتوظيف المقاربة الأنثروبولوجيّة التّاريخيّة في قراءة نشاط الفروسيّة، والتي حصرناها ضمن عنصرين أساسيين؛ تمثّلا في المبرّرات المنهجيّة وكذا المبرّرات العمليّة، ثم انتقلنا لمناقشة مسألة الأبعاد الأنثروبولوجيّة المرتبطة بالمكانة المحوريّة للفرس في أداء نشاط الفروسيّة في الجزائر خلال المرحلة الحديثة، باعتبارها أرضيّة معرفيّة تُتيح لنا التطرّق إلى دور الفروسيّة في تأثيث المناسبات الاحتفاليّة في المجتمع الجزائري، ثم جاء استعراض المحدّدات التّنظيميّة لرياضة الفروسيّة، أمّا العنصر الأخير من البحث فقد

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يُصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد12- العدد2 (جوان) 1443هـ/2022م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-011-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

انصبّ حول رصد العناصر الجماليّة للفروسيّة، وأنهينا بحثنا بخاتمة اشتملت على مجموعة من النّتائج التي توصّلنا إليها.

1- مبرّرات استحضار المقاربة الأنثروبولوجيّة التّاريخيّة في قراءة نشاط الفروسيّة:

تُطلعنا التوجّهات المعاصرة ذات الصّلة بإشكاليّة توظيف المقاربات النّظريّة ضمن عائلة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة بشكل عام، على الأهميّة التي أضحت تمثّلها تلك المقاربات؛ في توفير آليات معرفيّة تُتيح الإلمام بالموضوع المدروس، فهي حسب رأي المتخصّصين "تمنح الانسجام للميدان المعرفي بفضل ما تقترحه من تفسيرات"[1]، بما يُفضي إلى بلورة رؤى وبناء استنتاجات تتّسم بالموضوعيّة، كونها "عبارة عن نسق من المعلومات تسمح للباحث بأن ينطلق منها لفهم ووضع صياغات جديدة وتفسيرات أكثر عموميّة وعمق"[2]، وهو ما يبعث على ضرورة إبراز نوعيّة المقاربة النّظريّة المعتمدة وكذا شرح مبرّرات التّقيُّد بها ضمن سياق صلتها بموضوع بحثنا، والتي نرى إمكانيّة استعراضها ضمن عنصرين أساسيين؛ على النّحو الآتي:

1.1- المبرّرات المنهجيّة: لا شكّ أنّ المسعى الهادف إلى البحث في نشاط الفروسيّة في الجزائر خلال المرحلة الحديثة؛ بقراءة في محدّداته التّنظيميّة ورصد لعناصره الجماليّة، من منظور الأنثروبولوجيا التّاريخيّة، يُلزمنا باستعراض مبرّرات الاستناد إلى هذه المقاربة، وذلك باستحضار ما تتّسم به من خصائص منهجيّة، ورصد ما تنطوي عليه من آليات تفكير تُفضي إلى مُلامسة جملة من العناصر التي أغفلتها الكتابات التّاريخية التّقليديّة، ولعلّ ما تجدر الإشارة إليه ضمن هذا السّياق أنّ قيام مدرسة الحوليّات قد شكّل منعرجا حاسما في مسار الكتابات التّاريخيّة، حيث مثّل "بعثًا لتاريخٍ أنثروبولوجيٍّ"[3]، على اعتبار أنّ الكتابات التّاريخيّة المعاصرة بفعل التّأثير الذي أحدثته هذه المدرسة–الحوليّات-؛ بدأت تتخلّص تدريجيّا من هيمنة النّزعة التّقليديّة في الكتابة، حيث أخذت تعرف طريقها نحو الانفتاح

1-أنجرس موريس، منهجيّة البحث في العلوم الإنسانيّة، ترجمة بوزيد صحراوي وآخرون، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعيّة، 2008، ص. 54.

2-المرجع نفسه، ص. 55.

3-بورغيير أندري، الأنثروبولوجيا التّاريخيّة، ترجمة محمد حبيدة، مجلّة أمل، منشورات مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، المغرب، السّنة الثّانية، عدد 5، 1994، ص. 97.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يُصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد12- العدد2 (جوان) 1443هـ/2022م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-011-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

على مختلف المناهج والمقاربات النّظريّة المنحدرة من عائلة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، ومن ضمنها الأنثروبولوجيا بوجه خاص.

ولذا فإنّ التقاء الأنثروبولوجيا بالتّاريخ ضمن سياق ما أضحى يُسمّى بالأنثروبولوجيا التّاريخيّة، قد أتاح للباحثين في التّاريخ إمكانيّة الانفتاح على زوايا نظر جديدة، من خلال تطعيم المواضيع التّاريخيّة بمصادر ومعارف مختلفة ساهمت في إثرائها، كما حفّز هذا الالتقاء بين الأنثروبولوجيا بالتّاريخ الباحثين أيضا؛ على مُلامسة عناصر وبؤر تفكير جديدة، من خلال تناول مواضيع واقتحام فضاءات كانت مغيّبة أو مسكوت عنها، وهو ما كانت له انعكاسات ايجابيّة على مضمون الكتابات التّاريخيّة خلال المرحلة الرّاهنة، بما يبعث على التّأكيد"بأنّ مختلف المقاربات المنجزة في الأنثروبولوجيا التّاريخيّة قد سمحت بتدقيق أفضل لأساليب البحث والتّناول بصرف النّظر عن المجالات الجغرافيّة والفترات التّاريخيّة المقصودة بالدّرس"[1].

2.1-المبرّرات العمليّة: إنّ النّزعة التّجديديّة في الكتابات التّاريخيّة التي أحدثها انفتاح هذه الأخيرة على المقاربة الأنثروبولوجيّة، والتي كان من أبرز مظاهرها وفق رأي المتخصّصين في هذا الشّأن الانتقال"من دراسة الشّعوب إلى دراسة الموضوعات"[2]، ساهمت في توجيه أنظارنا نحو موضوع الفروسيّة بوجه خاصٍ؛ باعتباره نشاطا رياضيّا وترفيهيّا ميّز المجتمع الجزائري خلال المرحلة الحديثة، من خلال اقترانه بالمناسبات الاحتفاليّة المختلفة؛ الدّينيّة وكذا والاجتماعيّة، وهو موضوع لم ينل حظّه من الاهتمام، حيث أُعْتُبِرَ إلى زمن قريب بحكم التوجّه السّائد الذي كان يُميّز الكتابات التّاريخيّة؛ من ضمن المواضيع الهامشيّة التي لا تتّصف بأهميّة معرفيّة مُلحّة، وهي بهذا المعنى لم تكن تُشكّل أولويّة في مجال الكتابات التّاريخيّة، ولذا فقد وقع التّغاضي عنها وإغفالها لصالح مواضيع تنسجم والنّزعة التّقليديّة المُهيمنة على الدّراسات التّاريخيّة.

1-لطفي عيسى، ما سبيل إلى الكونيّة دون التّدقيق في مدلول الغيريّة، ضمن أعمال ندوة الأنثروبولوجيا التّاريخيّة المكتسبات والآفاق،الصّادرة ضمن سلسلة الأنثروبولوجيا–الإثنولوجيا-، منشورات مركز الدّراسات والبحوث الاقتصاديّة والاجتماعيّة، تونس، عدد 3، 2010، ص. 05.

2-أوجيه مارك وكولاين جون بول، الأنثروبولوجيا، ترجمة جورج كتّورة، دار الكتاب الجديدة المتّحدة، بيروت، 2008، ص. 25.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يُصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد12- العدد2 (جوان) 1443هـ/2022م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-011-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

كما أنّ الآليات المعرفيّة التي وفّرتها المقاربة الأنثروبولوجيّة التّاريخيّة ساهمت في توجيه اهتمامنا نحو الجوانب الجزئيّة في الموضوع، بما جعلنا ندرك أهميّة تحليل وفهم العناصر الجزئيّة وإبرازها ضمن سياق ما هو كلّي، وهو ما حفّزنا على قراءة في المحدّدات التّنظيميّة والعناصر الجماليّة المرتبطة بنشاط الفروسيّة، بغرض رصد الخصوصيّات اللّصيقة بتلك المحدّدات والعناصر الجماليّة المشار إليها، بما يُفضي إلى إدراك المخْتَلِف والمُغَايِر، وهنا تكمن أهمّية أن يضع الباحث بعين الاعتبار دور الفهم المبني على الفكر المقارِن، لأنّ "...التّفكير في ثقافته الخاصّة وثقافة الآخر من منطلق وجهة نظر تُدْخِل رؤى مقارنتيّة وآفاق متنوّعة هي ليست فقط ايجابيّة، ولكن أيضا ضروريّة جدّا لفتح آفاق تفسيريّة جديدة"[1].

2- الأبعاد الأنثروبولوجيّة المرتبطة بالمكانة المحوريّة للفرس في أداء نشاط الفروسيّة: إنّ اعتبار الفرس المحور الرّئيس الذي تقوم عليه ممارسة الفروسيّة كنشاط رياضي واحتفالي في الجزائر خلال المرحلة الحديثة، إذا ما تمّ تفسيره استنادا إلى المنظور الأنثروبولوجي، فهو بمثابة تعبير صريح يُفصِحُ عن المكانة الرّمزيّة التي يحوزها هذا الأخير في الذّاكرة الجمعيّة للمجتمع الجزائري، بما تنطوي عليه تلك المكانة الرمزيّة من أبعاد ثقافيّة واجتماعيّة؛ تمثّلا وممارسة، وهو ما جسّده ذلك "التعلّق بالفرس بشكل لافت للانتباه"[2]، حيث يبدو من خلال الدّراسات المختلفة التي أشارت بشكل ضمني للفرس خلال المرحلة الحديثة، ضمن سياق التّوثيق التّاريخي والإثنوغرافي للأنشطة الاحتفاليّة والرّياضيّة في المجتمع الجزائري، وعلى رأسها نشاط الفروسيّة بوجه خاص، أنّ هناك مجموعة من الرّؤى التي اقترنت بالفرس؛ حيث ارتسمت في المخيال المجتمعي بصفة تدريجيّة، وفق منحى زمني تصاعدي، من خلال تشكيل جملة من التّمثّلات التي ساهمت في إضفاء صور مُفعمة بالدّلالات والمعاني الإيجابيّة، بما يكشف عن المكانة الرمزيّة لهذا الأخير الذي "عُدّ من ضرورات الحياة"[3].

1-أنجلس روك ماريا: أنثروبولوجيّة الحياة اليوميّة في المتوسّط، ترجمة حسن بن منصور، دار زرياب للنّشر، الجزائر، 2005، ص. 21.
2-Daumas (E.), Les Chevaux Du Sahara, 2ème Editions, Schileb Ainé, Paris, 1853, p. 41.
3-Ibid, p. 41.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يُصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد12- العدد2 (جوان) 1443هـ/2022م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-011-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

وقد أفضت تلك التمثّلات التي أضحت لصيقة بالفرس في المخيال المجتمعي؛ بفعل عدد من الاعتبارات الدّينيّة والثّقافيّة والاجتماعيّة، إلى بلورة مكانة محوريّة لهذا الأخير ضمن سياق ممارسة نشاط الفروسيّة، إذ "...تحوّل تدريجيّا إلى رمز الوجاهة والشّجاعة والشّرف، عندما ارتبطت الخيل بالفروسيّة"[1]، وهو رأي يجد سندا له فيما وفّرته الأبحاث الأنثروبولوجيّة بخصوص تعاطي بعض المجتمعات مع الحيوانات، من خلال أداء بعض الأنشطة الرّياضيّة؛ وهو ما يكشف"...عن الوضعيّة العمليّة والرّمزيّة للحيوانات في المجتمعات التي تتعاطى مع هذا النّوع من الممارسات الرّياضيّة"[2].

3-دور الفروسيّة في تأثيث المناسبات الاحتفاليّة في المجتمع الجزائري: برغم أنّ بعض الجوانب الثّقافيّة والاجتماعيّة في الجزائر خلال المرحلة الحديثة لم تحض بالعناية الكافية من لدن المؤرّخين[3]، وهذا مردّه للاعتبارات المرتبطة بالتوجّهات المُميّزة للكتابات التّاريخيّة خلال تلك المرحلة[4]، غير أنّ ذلك لم يمنع من إمكانيّة رصد جملة من العناصر ذات الصّلة بتلك الجوانب والمجالات الثقافيّة والاجتماعيّة الثّاوية ضمن بعض الكتابات التّاريخيّة والإثنوغرافيّة بشكلٍ ضمنيٍّ أو صريحٍ، حيث تُقودنا عمليّة البحث في عدد من الكتابات المُشار إليها خلال المرحلة الحديثة؛ إلى إدراك الأهميّة الكبيرة التي تحضى بها الفروسيّة في المجتمع الجزائري.

ويبدو أنّ المجتمع الجزائري خلال تلك المرحلة قد ابتكر تقاليد خاصّة في إدارة وقت الفراغ؛ من خلال استثماره في ممارسة أنشطة رياضيّة وترفيهيّة نابعة من خصوصيّاته الثّقافيّة والاجتماعيّة، حيث تأتي الفروسيّة على رأس تلك الأنشطة التي مُورست في مختلف المناسبات، ولا شكّ أنّ هذا التّدبير للوقت الذي ميّز المجتمع الجزائري "لا يُعتبر مجرّد موقف بخصوص الزّمن وكذا الأنشطة، بل هو وجهة نظر قيميّة"[5]، وهو ما يبعث على التّأكيد أنّ المجتمع الجزائري برغم اتّسامه خلال المرحلة الحديثة ببنيته التّقليديّة؛ فإنّه لم

1-الوسلاتي نورة، تمثّل البداوة، مقاربات في التّاريخ الثّقافي بين المغاربي والمحلّي، منشورات سوتيميديا، ط1، تونس، 2019، ص. 312.

2-Bonte(P.) et Izard (M.), Dictionnaire de l'ethnologie et de l'anthropologie, 2ème Editions, Puf, Paris, 2002, p. 827.

3-تُعدُّ الألعاب والممارسات الرّياضيّة الشّعبيّة وفضاءات التّسلية من ضمن المواضيع التي لم تنل حظّها من البحث في المجال التّاريخي في الجزائر خلال المرحلة الحديثة.

4-اتّسمت الكتابات التّاريخيّة خلال المرحلة الحديثة بهيمنة التّاريخ السّياسي على حساب ما هو ثقافي واجتماعي.

5-Encyclopedia Universalis, Loisir, 2ème Volume, Spadem Adagp, Paris, 1985, p. 214.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يُصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد12- العدد2 (جوان) 1443هـ/2022م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-011-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

يَشُذْ عن بقيّة المجتمعات الأخرى التي أدركت عبر مسارها التّاريخي الحديث أهمّية استثمار أوقات الفراغ(Loisir)؛ الذي جاء كنتيجة للتّحوّلات في البُنى الاجتماعيّة والثّقافيّة والاقتصاديّة التي طرأت على المجتمعات الغربيّة، باعتباره(Loisir) "عنصرا أساسيّا في التحوّلات التي عرفتها المجتمعات الصّناعيّة...التي انتقلت من مجتمعات تقليديّة إلى مجتمعات صناعيّة"[1].

حيث تُعدُّ رياضة الفروسيّة من بين أبرز الممارسات الرياضيّة التّقليديّة القائمة على الأداء الفردي أحيانا والجماعي في غالب الحالات؛ إذ تتّصف بخاصّية التّنافس والأداء البدني، كما تحوز إضافة إلى خاصّية التّنافس التي ذكرنا؛ على عناصر رمزيّة ناظمة لبنيتها ذات امتدادات تضرب بجذورها في عمق تاريخ المجتمع الجزائري، بما جعلها تختلف عن الممارسات والألعاب الرّياضيّة المعاصرة التي تتميّز "...عن الألعاب التّقليديّة بشموليّة قوانينها التي تراقبها مؤسّسات وبحسٍّ مفرط في الدقّة وباستقلاليّة الإطار المكاني و الزّمني"[2].

ولذا فإنّ الفروسيّة خلال المرحلة الحديثة وفق ما نقلته بعض الكتابات التّاريخيّة والإثنوغرافيّة، تُعدُّ من أهم الأنشطة والممارسات الرياضيّة والتّرفيهيّة التي تتميّز بحضورها اللاّفت للانتباه؛ من خلال تأثيثها للمناسبات الاحتفاليّة الدينيّة والاجتماعيّة، حيث تبدو كظاهرة ثقافيّة لصيقة بالمجتمع الجزائري، غير أنّها ليست حكرا على بيئة اجتماعيّة وثقافيّة ضمن فضاء جغرافي مُحدّد، فهي تُشكّل أيضا أحد أبرز المظاهر والسمات التي ميّزت المجتمعات المغاربيّة بشكل عام، وقد أخذت هذه الممارسة تسمية"الفانتازيا"[3]، والتي أضحت تسمية لصيقة بها، من خلال تجذُّرها في الذّاكرة الجمعيّة للمجتمع الجزائري والمغاربي ككل، بما تحوزه مُفردة "**الفانتازيا**" ليس باعتبارها مفهوما بل كأداة واصفة؛ من حمولة دلاليّة تستوعب كل العناصر النّاظمة للفروسيّة، بمختلف أبعادها الاحتفاليّة، المادّية والرّمزيّة.

4-المحدّدات التّنظيميّة لرياضة الفروسيّة: لا شكّ أنّ إثارة مسألة المحدّدات التّنظيميّة لرياضة الفروسيّة في الجزائر خلال المرحلة الحديثة، يضعنا ضمن صُلب إشكاليّات معرفيّة ذات بُعد أنثروبولوجي؛ تتعلّق في المقام الأوّل بضرورة تفكيك وفهم التّأثير الذي مارسه

1-Encyclopedia Universalis, op-cit, p. 209-210.

2-Bonte(P.) et Izard(M.), op-cit, p. 827.

3-Salhi(A.), La Fantasia, Revue QANTARA, Institut du monde arabe, Paris, N°45, Automne 2002, p. 46-47-48.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يُصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد12- العدد2 (جوان) 1443هـ/2022م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-011-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

النّسق الثّقافي والاجتماعي، من خلال مساهمته بشكل مباشر في رسم معالم بنية المحدّدات التّنظيميّة لتلك الممارسة، باعتبارها نتيجة منطقيّة للتّفاعل النّاشئ بين مجموعة من الأفراد في تعاطيهم مع نشاط الفروسيّة تمثّلا وممارسة، والجدير بالإشارة أنّ اقتران الفروسيّة بالمجتمع الجزائري؛ كونها ممارسة تقليديّة موغلة في القدم، تتمظهر وفق سياقات متجدّدة، تُلزمنا بمناقشة مدى انسجام هذه الممارسة الرياضيّة التّقليديّة مع الحمولة الدّلاليّة التي تنطوي عليها مختلف الممارسات الرّياضيّة من المنظور الأنثروبولوجي.

وعلى اعتبار أنّ المعاجم المتخصّصة في الأنثروبولوجيا تذهب في تعريفها للرّياضة في معناها الواسع"...كألعاب تنافسيّة جدّية مبنية على البحث عن الأداء البدني في مواجهة صعوبة مقصودة...ويمكن أن تقتصر هذه الممارسات الفرديّة أو الجماعيّة على أداء حركات بدنيّة (سباق، سباحة، مصارعة)"[1]، فإنّ هذا التّعريف المشار إليه يجعل من إمكانيّة تصنيف الفروسيّة على أنّها نشاطا رياضيّا كامل الأركان أمرا ممكنا من النّاحية الأنثروبولوجيّة، برغم ما تتميّز به الفروسيّة من خصائص؛ لعلّ من أبرزها أنّها غير خاضعة لهيئات رسميّة تُشرف على تأطيرها بشكل رسمي، وبالتّالي فهي ممارسة ذات طابع مناسباتي، كما تتّسم بالعفويّة في الأداء.

غير أنّ تصنيف رياضة الفروسيّة باعتبارها ممارسة رياضيّة تقليديّة وفق جملة من الخصائص المُميّزة لها، لا ينف كون هذه الأخيرة قد خضعت لأُطُر ولقواعد قانونيّة ذات صلة بهذه الممارسة ساهمت في تأطير هيكلها التّنظيمي، حيث أخذت تلك الأُطُر القانونيّة برغم صفتها العرفيّة[2]؛ تتكيّف وتتماشى بالموازاة والمسار الزّمني التّصاعدي بأبعاده الاجتماعيّة والثّقافيّة والاقتصاديّة؛ المواكب لسياق المستجدّات المختلفة التي لامست التّحديث الذي طرأ على البنية النّاظمة لرياضة الفروسيّة كممارسة تقليديّة، وهو ما أفضى إلى تشكيل بنية قانونيّة قارّة متعارف عليها أضحت لصيقة بهذا النّشاط الرّياضي.

1-Bonte(P.) et Izard(M.), op-cit, p. 827.

2-نقصد من إطلاقنا معنى "الصّفة العرفيّة" على البنية القانونيّة التي تؤطّر رياضة الفروسيّة التّقليديّة؛ أنّها غير مدوّنة بل محفوظة ومتداولة لدى الممارسين والمتتبّعين على حدٍّ سواء بشكلٍ لا واعٍ، حتّى يُخيّل للمتتبّع من خارج المجموعة على أنّها قوانين صادرة عن مؤسّسة رسميّة متّصفة بإلزاميّتها.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يُصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد12- العدد2 (جوان) 1443هـ/2022م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-011-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

ولذا فإنّ ممارسي الفروسيّة في الجزائر خلال المرحلة الحديثة؛ قد ابتدعوا جملة من القواعد التي أضحت لصيقة بهذا النّشاط، الذي تميّز باستدامة حضوره، وباستمراريته عبر فترات زمنيّة متعاقبة، حين "كانت تقام مباريات ودورات منتظمة في سباق الخيل"[1]، ممّا جعله يكتسب خصائص تنظيميّة تتّسم بالدقّة، حيث شملت تلك القواعد التّفاصيل العامّة والجزئيّة للفروسيّة، وتأتي طريقة اللّعب ضمن ما يُسمّى ب"لعب الخيل"[2]، على رأس أبرز تلك القواعد التّنظيميّة، كونها تشكّل أهم الرّكائز التي تقوم عليها الفروسيّة كظاهرة ثقافيّة وكنشاط رياضي وترفيهي.

مع أنّ هذا لا ينف أيضا؛ وجود بعض الاختلافات في أساليب التّعاطي مع تلك الممارسة الرياضية والترفيهيّة من منطقة إلى أخرى، والشّائع أنّ طريقة اللّعب التي اتّصفت بها ممارسة الفروسية في الجزائر خلال المرحلة الحديثة، حسب ما تذكره الكتابات التّاريخيّة والإثنوغرافيّة، كانت وفق صيغتين، أمّا الصّيغة الأولى[3]؛ فقد تمثّلت في اللّعب الفردي والثّنائي الذي تميّزت به المناطق الشّرقية من الجزائر، في حين أنّ الصّيغة الثّانية؛ وهي الأكثر حضورا وانتشارا، فقد تمثّلت في اللّعب الجماعي، الذي اشتهرت به الجهتين الجنوبيّة والغربيّة من الجزائر، حيث "تتعدّد مستويات الاستعراض ودرجة تعقيدها، حسب المناطق، وحسب مهارة وخبرة الخيّالة"[4]، وهي وفق ما يبدو من خلال إمعان النّظر في ما كُتب عن بنيتها التّنظيميّة؛ عبارة عن اختلافات جزئيّة نابعة من الخصائص الثّقافيّة والاجتماعيّة المُمّيزة لكل بيئة اجتماعيّة على حدة، ولذا فإنّه "علاوة على الفروق الشّكليّة والمظهريّة التي توجد بين منطقة وأخرى، فإنّ لفروسيّة البارود تجلّيات أخرى في كل منطقة"[5].

5-العناصر الجماليّة المرتبطة برياضة الفروسية: تُفصِح ممارسة الفروسيّة كنشاطٍ رياضيٍّ وترفيهيٍّ في الجزائر خلال المرحلة الحديثة عن جملة من العناصر والأبعاد الجماليّة،

1-حرزالله محمّد العربي، الظّاهرة الثّقافيّة في سيدي خالد، منشورات جمعيّة الوحدة الثّقافيّة، بسكرة، الجزائر، 2015، ص. 502.

2-Delphin (G.), L'arabe parlé, E Leroux, Paris, 1891, p. 233.

3-Achille(R.), Jeux et divertissement des indigènes d'Algérie, Revue Africaine, Société Historique Algérienne, Alger, N°62, 1921, p. 65.

4- الوسلاتي نورة، المرجع السّابق، ص. 319.

5- المرجع نفسه، ص. 319.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يُصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد12- العدد2 (جوان) 1443هـ/2022م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-011-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

من خلال ما يُضفيه هذا النّشاط من مظاهر تتّسم بالجاذبيّة والتّشويق عبر بنيته العامّة وكذا الجزئيّة؛ ويبدو أنّ تلك العناصر الجماليّة تتجسّد في أشكال ومظاهر مختلفة؛ ماديّة ورمزيّة، حيث يأتي في مقدّمة المظاهر والعناصر الجماليّة تلك المتعلّقة بالأفراس[1]، إذ تحوز هذه الأخيرة باعتبارها الرّكيزة الأساسيّة لأداء نشاط الفروسيّة على عناصر جماليّة مُتعدّدة، منها تلك الجماليّة المتعلّقة بمظهرها، من حيث اللّون، ومن حيث تناسق حركاتها خلال وقوفها مُصطفّة، وكذا خلال عمليّتي المشي والرّكض، وغيرها من الحركات المرتبطة بأداء نشاط الفروسيّة.

وتمتدّ العناصر الجماليّة لتشمُل أيضا الأدوات واللّواحق الأساسيّة التي توضع على الفرس ويستعملها الفارس بغرض إعدادها لأداء نشاط الفروسيّة، حيث تتميّز تلك الأدوات واللّواحق المتمثّلة بوجه خاص في السّرج واللّجام والرّكاب بمسحتها الجماليّة، والتي تَشْتَمِل على أنواع من الجلد والقماش المزركش والخشب والنّحاس والحديد، وتكمن جماليّة تلك الأدوات واللّواحق المشار إليها؛ في ألوانها، وكذا في المواد التي صُنعت منها، دون إغفال الأبعاد الجماليّة التي تُميّز النّقوش المرسومة عليها بغرض إضفاء جاذبيّة، كما تنفتح العناصر الجماليّة أيضا على ما يحمله الفارس خلال امتطائه للفرس، وأبرزها شكل السيّف وغمده وشكل النّقوش ذات المغزى الجمالي التي ترصّعُه، وكذا شكل وحجم البندقيّة ولونها والنّقوش التي تُزيّنُها.

والجدير بالإشارة أنّ اقتران نشاط الفروسيّة بالمناسبات الاحتفاليّة؛ الدّينيّة منها والاجتماعيّة، بما تنطوي عليه تلك المناسبات من أبعاد ومعاني متشعّبة، قد أضفى على هذا النّشاط خصائص جعلته يأخذ المشهد الفُرجوي، كونه يقوم بالأساس على استعارة النّشاط الحربي[2]؛ لغايات رياضيّة وترفيهيّة في الآن نفسه، حيث يمتزج نشاط الفروسيّة بعدد من الجوانب التي تُثري الطّابع الفُرجوي، من خلال تلك العلاقة الجدليّة بالفضاء

1- ورد في لسان العرب المحيط لابن منظور "الفرس واحد الخيل والجمع أفراسٌ الذّكر والأنثى في ذلك سواء": أنظر: ابن منظور، لسان العرب المحيط، المجلّد الثّاني، تقديم عبد الله العلايلي إعداد وتصنيف يوسف خيّاط ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت لبنان، د ت، ص. 1071-1072.

2- للتوسّع في مسألة أوجه استعارة النّشاط الحربي في ممارسة رياضة الفروسيّة في الجزائر خلال المرحلة الحديثة، أنظر: Achille(R.), op-cit, p. 65.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يُصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد12- العدد2 (جوان) 1443هـ/2022م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-011-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

المكاني والزّمني المرتبط بالمناسبات الاحتفاليّة، والذي يَعجُّ بالعناصر المادّية والرمزيّة، يأتي في مقدّمتها شكل ميدان الفروسيّة، باعتباره الفضاء الحاضن لهذا النّشاط، من حيث بنيته الشّكليّة، من طول، وعرض، واستواء، وكذا طريقة أداء الفرسان بوجه خاصٍّ، والتي "تتنوّع بين رمي الأسلحة في الهواء أثناء الرّكض ثم التقاطها لاحقا، مرورا بانبطاح الفرسان أو انتصابهم فوق صهوة الجواد، بل يصل الاستعراض أيضا إلى الوقوف في وضعيّة معكوسة يكون فيها رأس الفارس إلى الأسفل، كل هذا أثناء ذروة سرعة ركض الخيول"[1].

كما أنّ العناصر الجماليّة لنشاط الفروسيّة كمشهد احتفالي فُرجوي ذات امتدادات مُتشعّبة، كونها تتميّز بخاصّيتها التّفاعليّة، وكذا انفتاحها على جوانب ومظاهر مختلفة، بحيث تشمل مُمَارسي ومُتتبّعي هذا النّشاط أيضا، وفي هذا الإطار تبرز جماليّة أزياء الممارسين بوجه خاصٍّ في تفعيل وإثراء هذا المشهد الفُرجوي، وهي في العادة أزياء يطبعها الانسجام والتّناسق، والتي تُفصح عن مظاهر جماليّة ذات دلالات وأبعاد رمزيّة متعدّدة، إذ تأخذ في الغالب طابع اللّباس التّقليدي الموحّد، من حيث الشّكل واللّون المميّز للبيئة التي ينتمي إليها هؤلاء الممارسون، كما يُعتبر شكل اصطفاف جمهور المتتبّعين أيضا أحد المظاهر الجماليّة ضمن هذا المشهد الفُرجوي، حيث يُنتظم هؤلاء في الغالب وفق وضعيّات مختلفة تتراوح بين الجلوس والوقوف، والتي تتّخذ الشّكل المستقيم بمحاذاة ميدان الفروسيّة. ويُكتمل هذا المشهد الاحتفاليّ الفُرجوي بمظاهر جماليّة لا تقلّ في أهميتها عن باقي المظاهر الأخرى المؤثّثة لهذا المشهد، من خلال اقتران نشاط الفروسيّة ببعض الأهازيج المصاحبة لطريقة اللّعب، والتي تُعبّر عن الانتشاء الذي يبلغه جمهور المتتبّعين، والذي يُترجم في الصّياح والتّهليل بشكل قد يكون فرديّا أو جماعيّا، وبرغم اتّصاف المجتمع الجزائري خلال المرحلة الحديثة بطابعه الذّكوري، الأمر الذي جعل حضور المرأة مُقتصرا على فضاءات خاصّة بها، بحيث لا يمكن تخطّيها، غير أنّ نشاط الفروسيّة قد شكّل استثناء، من خلال إتاحة مشاركة النّساء في الاستمتاع بعروضها، بما يُضفي على عروض الفروسيّة عناصر

1-الوسلاتي نورة، المرجع السّابق، ص. 319.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يُصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد12- العدد2 (جوان) 1443هـ/2022م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-011-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

جماليّة ذات بُعد حماسي، عبر تطعيم المشهد الاحتفالي الفُرجوي "بالزّغاريد كتعبير عن تحيّاتهن للفرسان"[1].

الخاتمة: ونحن ننهي هذا البحث الذي جاء بعنوان "نشاط الفروسيّة في الجزائر خلال المرحلة الحديثة؛ قراءة في محدّداته التّنظيميّة ورصد لعناصره الجماليّة"؛ استنادا إلى مقاربة من منظور الأنثروبولوجيا التّاريخيّة، نرى من الأهميّة أن نستعرض بعض النّتائج التي أمكن رصدها من خلال مجموعة من العناصر التي تمّ التطرّق إلى تفاصيلها العامّة والجزئيّة ضمن هذا البحث، وهي النّتائج التي نستعرضها على النّحو الآتي:

-شكّل انفتاح البحث التّاريخي على الأنثروبولوجيا، ضمن سياق ما أضحى يُسمى بالأنثروبولوجيا التّاريخيّة أحد العوامل الحاسمة في تجديد الكتابة التّاريخيّة، من خلال تحفيزنا على مُلامسة مواضيع بحث كانت مُغيّبة، لعل من ضمنها الموضوع المتعلّق بنشاط الفروسيّة في الجزائر خلال المرحلة الحديثة.

-يَشغُل الفرس مكانة مُميّزة في الذّاكرة الجمعيّة للمجتمع الجزائري على امتداد التّاريخ تمثّلا وممارسة، مما أفرز أشكالا مختلفة في التّعاطي مع هذا الأخير تجسيدا لتلك المكانة.

-مثّلت الفروسية أحد أبرز الأنشطة الرّياضيّة والتّرفيهية التي مارسها الجزائريّون خلال المرحلة الحديثة، وهو ما جعل الدّارسين لهذه الممارسة يعتبرونها ظاهرة ثقافيّة، لاقترانها بالمناسبات الاحتفاليّة بوجه خاصٍّ.

-برغم اتّسام نشاط الفروسيّة بطابعه التّقليدي، غير أنّ إمعان النّظر في محدّداته التّنظيميّة يكشف عن كفاءة وحنكة مُمَارسِيه في بلورة بنية قانونيّة عرفيّة أضحت لصيقة بهذا النّشاط، ساهمت بقسط وافر في استمراريته وفق أُسُس واضحة المعالم.

-تُفْصِح ممارسة الفروسيّة عن جملة من العناصر الجماليّة، والتي تتمظهر ضمن مشهد احتفالي فُرجوي، يُضفي على هذا النّشاط الرّياضي والتّرفيهي جاذبيّة خاصّة.

1- Achille(R.), op-cit, p. 65.